سلسلة لباب العلوم ⑥

مهمات مسائل العلم ـ تطبيقات تدريبية

لُبَابُ أُصُولِ التَّفْسِيرِ

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

تأليف

د. طالب بن عمر بن حمدة الكثيري




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

التفسير في اللغة: الكشف والبيان، وفي الاصطلاح: معرفة معاني القرآن الكريم؛ من حيث دلالتها علىٰ مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بحسب الطاقة البشرية.

وأصول التفسير: هي القواعد الكلية التي تعين علىٰ استنباط معاني القرآن الكريم، وتوجيه اختلاف المفسرين، ومعرفة الراجح منها.

وثمرته: تحصيل مَلَكة تعين علىٰ فهم كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهل التفسير بقواعد التفسير وأصوله من التفسير بالرأي المذموم؟

الجواب: التفسير بالرأي قسمان:

الأول: تفسير محمود: وهو ما كان بالاعتماد علىٰ القرآن، والسنَّة، وأقوال السلف، ولغة العرب .

الثاني: تفسير مذموم: وهو ما كان من مبتدع يفسر القرآن بقواعد مبتدعة، أو ما كان بظاهر اللغة دون الرجوع إلىٰ قواعد السلف؛ من مراعاة السياق، وعادة القرآن في خطاباته، وأقوال السلف .



الدرس الأول: طرق التفسير وقواعده:

١- طرق التفسير: وله خمسُ طرق:

١- ابحث عن تفسير الآية من القرآن الكريم:

وقد فسَّر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ القرآن بالقرآن، فعن عبد اللهِ بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآية [سورة الأنعام:٨٢]، شقّ ذلك علىٰ المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟! قال: «**ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾** [سورة لقمان:١٣]» متفق عليه.

- وأوضحه أن يكون السؤال عن المعنىٰ والجواب من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ [سورة الطارق:١-٣].

- ومنه: الموصوف الذي يُتبع بوصفه، أو ببدل منه، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس:٦٢-٦٣]، وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [سورة الممتحنة:١].

- ومنه تفسير لفظة في آية بلفظة أخرىٰ أوضح منها في آية أخرىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الحجر:٧٤]، بقوله تعالىٰ: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الذاريات:٣٣]؛ فالسجّيل: الطين؛ لكونهما في القصةِ نفسها، ولذكر الحجارة في الآيتين.

- ومنه جمع القراءات، وحمل بعضها علىٰ بعض؛ كتفسير: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [سورة المائدة:٣٨]، قرأ ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أيمانهما، قال مجاهد: لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت.

- ومنه الجمع بين ما يُتوهم أنه مختلف، كخلق آدم من تراب، ومن طين، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار، وهي أطوار ما خُلِق منه، ومن طرق ذلك: حمل كل لفظة علىٰ معنىٰ مختلف عن

الأخرىٰ، كحمل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[سورة القصص:٥٦] علىٰ نفي هداية التوفيق، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [سورة الشورى:٥٢] علىٰ إثبات هداية التبيين والإرشاد له، أو حمل كل لفظة علىٰ زمان أو مكان يختلف عن اللفظة الأخرىٰ، كحمل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦﴾ [سورة الحاقة:٣٦]، وقوله: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦﴾ [سورة الغاشية:٦] علىٰ طبقات مختلفة في النار.

- ومنه التفسير الموضوعي، كتفسير ظل الجنة: بأنه ممدود، وظليل، ودائم، وهكذا.

- ومنه نوع قد يخفىٰ، لكنه يتميز بوجود بعض الروابط بين الآيتين، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [سورة النساء:٤٢] بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [سورة النبأ:٤٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ [سورة الأنبياء:٣٠]، بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ [سورة الطارق:١١-١٢]، أي فتق السماء بالرجع (وهو المطر)، والأرض بالصدع (وهو النبات).

- ومنه الأشباه والنظائر: فلفظ الأزواج في القرآن جاء علىٰ ثلاثة معانٍ: الزوجات، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥]، والأنواع، كقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [سورة يس:٣٦]، والأشباه القرناء، كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾ [سورة التكوير:٧]، وأشبه المعاني في تفسير الأزواج في قوله تعالىٰ: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [سورة الصافات:٢٢] قرناءهم.

- ومنه خلافهم في تفسير آية، فتوضحه آية أخرىٰ، كالخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩﴾ [سورة الصافات:٩]، قيل: دائم، وقيل: موجع، يحمل علىٰ الدائم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ [سورة النحل:٥٢].

ومن التفاسير المعتنية بتفسير القرآن بالقرآن: تفسير ابن كثير، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي.

٢- ثم ابحث عن تفسير الآية من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد فسّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال:٦٠] **ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**» أخرجه مسلم.

- ومنه: أن يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلامًا يصلح أن يكون تفسيرًا للآية، كتفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [سورة الفاتحة:٧]، بحديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضُلّال**» أخرجه الترمذي.

ومن التفاسير المعتنية بتفسير القرآن بالسنة: كتاب التفسير في صحيحي البخاري ومسلم.

٣- ثم ابحث في تفسير الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومنه: تفسير ترجمان القرآن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لقوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾ [سورة النبأ:٣٤]، قال: مملوءة متتابعة.

ومنه: تفسير مجاهد، وقتادة، وابن زيد لقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾ [سورة ق:١٠] قالوا: الباسقات: الطوال.

ومن التفاسير المعتنية بتفسير القرآن بالسنة والآثار: تفسير عبد الرزاق، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

٤- ثم ابحث في الأغلب المعروف من لغة العرب، مع مراعاة ما دلّ عليه السياق.

ومنه تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [سورة التوبة:١٠]، قال: « والإِلّ: اسم يشتمل على معانٍ ثلاثة: وهي: العهد والعقد، والحِلف، والقرابة، وهو أيضًا بمعنى الله، فإذا كانتِ الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصَّ من ذلك معنىً دون معنىً، فالصواب أن يعمّ ذلك كما عمَّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرابة، ولا عهدًا، ولا ميثاقًا ».

ومن التفاسير المعتنية بتفسير القرآن باللغة: المفردات للراغب، والمحرر الوجيز لابن عطية، والبحر المحيط لأبي حيان.

٥- ثم ابحث عن تفسير الآية بالاستعانة بقواعد السلف في التفسير (التفسير بالرأي المحمود):

قال ابن المبارك: « ليكن الذي تعتمد عليه هذا الأثر، وخذْ من الرأي ما يفسر لك الحديث، وهذا هو الفهم الذي يختص الله به من يشاء من عباده » ا.هـ من (جامع بيان العلم وفضله) ص: ١٠٥٠،

ومنها:

قواعد التفسير:

أ- معرفة سبب النزول يورث معرفة تفسير الآية.

قال الواحدي: « لا يمكن لأحد أن يفسر الآية إلا بمعرفة سبب النزول »، وسبب النزول: هو ما نزلتِ الآية أو الآيات مبيّنة لحكمه، أو متحدثة عن واقعةٍ أيامَ وقوعها.

أ- وقد يكون بعد سؤال، كقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [سورة البقرة:١٨٩].

ب-أو يكون بعد حادثة تحتاج إلىٰ بيان، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة:٦٥].

ومثال القاعدة قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة المائدة:٩٣]، فقد جاء أنّ رجلينِ شربا الخمر، وقالا: ما دمنا اتقينا الله وآمنا وعملنا الصالحات فليس علينا جناح، فبيّن لهما عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن الآية ليست عامة، وإنما نزلت في الذين شربوا الخمر قبل أن تحرّم الخمر، ثم اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، ثم ماتوا.

ولا يحكم بتعدد سبب النزول إلا إذا كانا سببين صحيحين صريحين، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى﴾ [سورة البقرة:١٩٥]، قال الوادعي في (الصحيح المسند من أسباب النزول) ص: ٢٩: « لا داعي لإلغاء الروايتين؛ أعني رواية النعمان والبراء مع صحتهما، فالآية تشمل من ترك الجهاد وبخل، وتشمل من أذنب وظنّ أن الله لا يغفر له، ولا مانع من أن تكون الآية نزلت في الجميع، والله أعلم ».

ب- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

مثالها قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر:٣]، قيل: نزلت في عقبة بن أبي معيط، وقيل: في العاص بن وائل، واختار الطبري أنها في كلّ مبغض للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ت- القراءتان في الآية لهما حكم الآيتين.

ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة التكوير:٢٤]، فيه قراءتان: الأولىٰ: بالضاد، فيكون المعنىٰ: ما هو ببخيل، والثانية: بالظاء، فيكون المعنىٰ: وما هو بمتهم.

ث- الأصل حمل ألفاظ القرآن علىٰ ظاهرها.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر:٢٢]، قيل: وجاء أمر ربك، وهو خلاف الظاهر، بل يحمل علىٰ مجيء الله يوم القيامة لفصل القضاء، ومنه أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [سورة البقرة:٦٧]، قيل: النفْس، وهو خلاف الظاهر.

ج- الأصل أن يعود الضمير لمذكور، وقد يعود لغيره عند العلم به.

كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ [سورة هود:٥]، الصواب أنَّ الضمير يرجع في (منه) إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يُذكر، وقد يعود الضمير لغير مذكور، كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الرحمن:٢٦]؛ أي الأرض، وقد يعود لأحد شيئين، وهو لهما، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة:٦٢]؛ أي يرضوهما.

ح- قد يحذف من الكلام ما يدل عليه المذكور.

كقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة هود:٣٥]؛ أي إن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براء، وإن صدقتكم فعليكم إجرامكم، وأنا برئ مما تجرمون، وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام:١٣]؛ أي وما تحرّك.



الدرس الثاني: أنواع الاختلاف بين المفسرين، وقواعد الترجيح:

اختلاف المفسرين: وهو نوعان:

١- **اختلاف التنوع**: وضبطه الشاطبي بقوله: «إذا اعتبرتها وجدتها تتلاقىٰ علىٰ العبارة كالمعنىٰ الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعُها، والقولُ بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل، فلا يصح نقل الخلاف فيها».

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « إنك لن تفقه كل الفقه حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهًا ».

فمما يلتقي على معنى واحد:

- ما يكون لفظ الآية متقاربًا، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، قيل: أمر، وقيل: أوجب، وقيل: أوصىٰ.

- أو يكون اللفظ متكافئًا، كتفسير قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [سورة طه:١٢٤]، قيل: كلامي، وقيل: كتابي، وقيل: هداي.

- أو يكون اللفظ متلازمًا، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [سورة الطور:٩]، قيل: تتحرك وتضطرب، وقيل: تتشقق.

- أو يكون اللفظ متواطئًا، كاختلاف المفسرين في معنىٰ (الخنّس)، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي بقر الوحش، وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي النجوم، قال سفيان بن عيينة: وكلاهما واحد؛ لأن النجوم تخنس بالنهار، وتظهر بالليل، والوحشية إذا رأت إِنسيًّا خنست في الغيطان وغيرها، وإذا لم تر إِنسيًّا ظهرت.

- ومنه أن يذكر كل مفسّرٍ نوعًا من أنواع المعنىٰ العام، أو مثالاً له، كاختلافهم في الماعون، قال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: عارية المتاع، وقال عكرمة: الماعون أعلاه الزكاة، وعارية المتاع منه.

- ومنه ما يمكن اجتماعه مع غيره من الأقوال، كأن يذكر كل مفسر وصفًا، ويمكن حمل الآية علىٰ الأوصاف جميعها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة النبأ:٣٤]، قال ابن عباس: دهاقًا مملوءة، وقال مجاهد: متتابعة، وقال عكرمة: صافية، قال ابن عثيمين: ولا منافاة بين هذه الأقوال، والآية تحتملها فتحمل عليها جميعًا، ويكون كل قول لنوع من المعنىٰ.

- ومنه أن يُذكَر الوصف دون ذكر الموصوف، فيذكر كل مفسر موصوفًا له هذا الوصف، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾ [سورة النازعات:١]، قيل: الملائكة تنزع الأرواح، وقيل: النجوم تنزع من أفق إلىٰ أفق، وقيل: القِسيّ تنزع بالسهام.

٢- **اختلاف التضاد:** وضبطه ابن عثيمين بقوله: « اختلاف في اللفظ والمعنىٰ، والآية لا تحتمل المعنيين معًا للتضاد بينهما، فتحمل الآية علىٰ الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره ».

- ومنه: اختلاف المفسرين في معنىٰ لفظ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨]، فقد ورد القرء في لغة العرب بمعنىٰ الحيض، وروي عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسىٰ وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبمعنىٰ الطهر، وروي عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- ومنه اختلاف المفسرين في متعلق الفعل، كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [سورة النساء:١٢٧]، ففي متعلق (ترغبون) تقديران: الأول: ترغبون في نكاحهن، وهذا قول عائشة، الثاني: ترغبون عن نكاحهن، وهذا قول الحسن، فهل هي مرغوبٌ فيها أو غير مرغوبٍ فيها؟

فإن وجدتَ بين المفسرين اختلاف تضاد فاستعن بقواعد الترجيح، ومنها:

من قواعد الترجيح بين أقوال المفسرين:

أ- **الترجيح باعتبار سبب النزول.**

ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [سورة البقرة:١٥٨]، قيل: معنىٰ قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة:١٥٨] أن السعي بين الصفا والمروة مباح، وليس بواجب، والراجح أنه نفي للجناح عن تحرجهم من فعله؛ إذْ كانوا يرون أنهما من

أمر الجاهلية، أما أصل حكم السعي فقد تبين بقوله: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٥٨]، وقد دلّ على ذلك ما أخرجه البخاري عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في سبب نزولها.

ويُقدّم سبب النزول الصحيح الصريح على غيره، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١١٥]، جاء في سبب نزولها: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنها نزلت لما نسخ استقبال القبلة، قال: فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وذكر الآية، وقد أخرجه ابن جرير بسند صحيح، فهو صحيح صريح، وجاء عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي على راحلته حيث توجهت به، وهو جاءٍ من مكة إلى المدينة، ثم قرأ هذه الآية، وقال: في هذا أنزلت هذه الآية، أخرجه الترمذي بسند صحيح، وهو صحيح غير صريح، وجاء عن قتادة قوله: نزلتْ في النجاشي، قالوا: كيف نصلي عليه، وقد كان يصلي لغير القبلة؟ قال: فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ، وذكر الآية، أخرجه ابن جرير، وهو ضعيف لإرساله، فيقدّم الأول.

ب- الترجيح باعتبار دلالة السياق.

ومثاله الخلاف في قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، قيل: الولد، وقيل: ليلة القدر، ورجّح الطبري الأول؛ بدلالة ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾.

قال مسلم بن يسار: إذا حدثتَ عن الله، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.

ت- الترجيح باعتبار الرسم.

ومثاله الخلاف في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [سورة الأعلى:٦]، قيل: (لا) نافية، وقيل: ناهية، واختار القرطبي الأول؛ لأن الألف مثبتة في جميع المصاحف.

ث- ترجيح المعنى الشرعي على المعنى اللغوي.

ومثاله الخلاف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [سورة التوبة:٨٤]، قيل: الصلاة: الدعاء على المعنى اللغوي، وقيل: صلاة الجنازة؛ حملًا للفظ على المعنى الشرعي، والأخير أقرب.

ويُرجح المعنىٰ العرفي علىٰ اللغوي، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦٠]، بالغزاة، دون بقية طرق الخير.

ج- ترجيح التأسيس علىٰ التأكيد.

ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النور:٤١]، قيل: أي قد علِم المصلي والمسبح صلاته وتسبيحه، فيكون معنىٰ جديدًا، وقيل: قد علم الله ذلك، فيكون تأكيدًا وتكرارًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النور:٤١]، والأول أرجح لهذه القاعدة، ولقاعدة اتحاد الضمائر والعود لأقرب مذكور.

ح- الترجيح بحسب عادات القرآن.

ومثاله الخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [سورة الطارق:٨]، هل مرجع الضمير في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ [سورة الطارق:٨]: يعود إلىٰ الإنسان، والمعنىٰ أن الله قادر علىٰ ردّه إلىٰ الحياة بعد موته، أو يعود إلىٰ الماء، ويكون المعنىٰ أن الله قادر علىٰ رد الماء إلىٰ الصّلب؟ اختار ابن القيم الأول؛ لأن المعهود من طريقة القرآن الاستدلال بالمبدأ علىٰ المعاد، ويدل عليه السياق أيضًا، فبعدَه: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [سورة الطارق:٩].

وكقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة التكوير:١٧]، قيل: أقبل، وقيل: أدبر، وجاء في القرآن بالمعنيين؛ كقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ [سورة الليل:١]، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ [سورة الضحى:٢]؛ أي أقبل، وقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة المدثر:٣٣]، لكن أسلوب القرآن ذكرُ الضدين، كقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ [سورة الضحى:١-٢]، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ [سورة الشمس:٣-٤]، ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [سورة الأنعام:٩٦]، فيحمل (عسعس) علىٰ أقبل؛ لأن بعده: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التكوير:١٨]، والله أعلم.

خ- الأصل عدم التقدير والإضمار.

كقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ﴾ [سورة يوسف:٥٣]، هو من قول امرأة العزيز؛ لأنه متصل بقولها، وإلا احتجنا إلىٰ أن نقدّر قبلها (قال)؛ أي يوسف.

وإذا اضطررنا للإضمار فالأولىٰ تقدير ما دلت عليه آية أخرىٰ، كقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النازعات:٢٦]؛ أي يخشىٰ عذاب الآخرة كما في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [سورة هود:١٠٣].

ونقدر الأوفق للسياق، كقوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [سورة المائدة:٩٧]، فنقدّر حرمة الكعبة، دون نصب الكعبة؛ لأن تقدير لفظة (نصب) لا يوافق قوله بعدها: ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [سورة المائدة:٩٧].

د- الأصل أن يعود اسم الإشارة والضمير إلىٰ أقرب مذكور.

مثاله قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأعلى:١٨]، قيل: هذا القرآن، وقيل: هذه السورة، وقيل: هذا الفلاح لمن تزكي وآثر الآخرة، والأخير هو أقرب مذكور؛ لذا اختاره ابن عطية.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى﴾ [سورة مريم:٢٤]، قيل: عيسىٰ، وقيل: جبريل، وأقرب مذكور هو عيسىٰ.

ذ- الأصل اتحاد الضمائر، وعدم تشتتها.

مثاله قول الله تعالىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الفتح:٩]، اتفقوا علىٰ أن مرجع الضمير في: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [سورة الفتح:٩] عائد إلىٰ الله، واختلفوا في مرجع الضميرين في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [سورة الفتح:٩]، فقيل: إلىٰ الله، وقيل: إلىٰ الرسول، واختار الزمخشري الأول؛ لهذه القاعدة.

وهذا الأصل، وقد يُخرج عنه لعارض، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الكهف:٢٢]؛ أي في أهل الكهف من أهل الكتاب.

وهذه القاعدة أقوىٰ من التي قبلها عند التعارض، كالخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة العاديات:٧]، فأقرب مذكور هو الربّ، لكنّ الضمير فيما قبله وما بعده يعود للإنسان المتحدَّث عنه، فهو أولىٰ.

ر- الأصل عدم التقديم والتأخير:

كالخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، قيل معناها: وما كفر سليمان وما أنزل علىٰ الملكين ببابل هاروت وماروت ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، وقيل: لا تقديم ولا تأخير فيها، وهو أولىٰ.

فإذا اختلف المفسرون نظرتَ: هل اختلافهم من اختلاف التنوع أو التضاد؟

أ- فإن كان من اختلاف التنوع، حملت الآية علىٰ أقوالهم جميعها، كالخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [سورة الانشقاق:٦]، هل مرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [سورة الانشقاق:٦] يعود للكدح، أو إلىٰ الرب؟ والجواب: أنه يرجع إليهما دون تضاد، فيلقىٰ العبد ربه وعمله يوم القيامة.

ب- فإن كان من اختلاف التضاد، أعملت قواعد الترجيح:

- كالخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [سورة الحج:٧٨]، هل الذي سمّانا المسلمين هو الله عَزَّوَجَلَّ، أو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ يقوي الثاني قاعدة عود الضمير إلىٰ أقرب مذكور، وقاعدة الحمل علىٰ عادات القرآن ونظائر الآية، وقد قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [سورة البقرة:١٢٨]، ويؤيد الأول قاعدة اتحاد الضمائر في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [سورة الحج:٧٨]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج:٧٨]، فالضمائر فيها تعود إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وقاعدة السياق، فقوله تعالىٰ: ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ [سورة الحج:٧٨]؛ أي في القرآن، وإنما نزل القرآن بعد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقوي القول الأول.

- والخلاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]، قيل: أمر بإكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما، وهو قول ابن عباس، واختاره ابن جرير وابن تيمية وابن كثير، واستدلوا بقواعد: **الأولىٰ**: أن فرض الحج نزل سنة تسع أو عشر، وهذه الآية نزلت سنة ست، فيمن شرع في النسك، ومُنع من

إتمامه، **والثانية**: دلالة السياق؛ لقوله بعده: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]؛ أي: مُنعتم من إتمامهما، **والثالثة**: السُّنة؛ فيما أخرجه الطبراني عن يعلىٰ بن أمية قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: كيف تأمرني في عمرتي؟ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]، فأمره بإتمامها، والحديث صححه الوادعي.

وقيل: فُرض عليكم ابتداؤهما وإتمامهما، وهو قول مجاهد، واختاره البغوي والرازي وأبو حيان، واستدلوا بقواعد: الأولىٰ: نظائر الآية، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]؛ أي ابتدِئوه وأتموه، والثانية: أنه لا يلزم منه إضمار، بخلاف القول الأول، فإنه يحتاج إلىٰ إضمار، تقديره: وأتموا الحج والعمرة إذا شرعتم فيهما، والثالثة: لقراءة: ﴿ وأقيموا الحج والعمرة لله ﴾ .



الدرس الثالث: قواعد في تدبر القرآن:

التدبر: هو التأمل في آيات القرآن للوصول إلىٰ معانيها، والاتعاظ بعظاتها، والعمل بتوجيهاتها.

القاعدة الأولى: معرفة حدود اللفظة بدلالة المطابقة، ثم معرفة ما يندرج تحتها من أفراد بدلالة التضمن:

فتتعرف علىٰ معنىٰ اللفظة، وما يدخل فيه وما لا يدخل، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته؟!»؛ ولهذا كانت معرفة حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله أصلَ كل الخير، والجهل بذلك أصل كل الخسران، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣٠].

ثم تتفكر في أفراد ما يدخل في معناها، وعمومه، ومن قواعد العموم:

أ- الألف واللام الداخلة علىٰ الأوصاف:

- كقوله تعالىٰ: (الْعَلِيمُ)، فتتفكر في أفراد علمه سبحانه، فهو يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، ويعلم من حاضرك: ما يحدث حولك، وفي نفسك، ويعلم مِن نفسك: أفعالك وأقوالك وخطرات قلبك، ويعلم من خطرات قلبك: ما قصدتَ لما فعلتَ، وما فكّرتَ لما تذكرتَ... إلخ، فيزداد إيمان القلب.

- وقوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [سورة المائدة:٢]، ومن التعاون علىٰ البر: التذكير بالصلاة، وإقامة مشاريع لرفع الأذىٰ عن الطريق، وفتح مساهمات لعون ذوي الاحتياجات الخاصة ... إلخ، ومن التعاون علىٰ التقوىٰ: التوعية بخطر ترك الزكاة، والاحتساب علىٰ ترويج المسكرات، والدورات التأهيلية للتائبين من الفواحش، ومن عدم التعاون علىٰ الإثم والعدوان: الحذر من المساهمة فيما يضر الجيران، أو يوقع الغش التجاري بالمستهلكين .... إلخ، فكم ينقصك من ذلك؟! وبمثل هذا يزداد إيمان الجوارح.

ب- إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام:

- كقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦]، ومما يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿شَيۡـٔٗا﴾ ألا تشرك بالله في نياتك، وأفعالك، وأقوالك، ومِن ترك شرك الأقوال: ترك الشرك الأكبر والأصغر والخفي، ومن ترك الشرك الخفي: هل أنا ممن يتلفظ بألفاظ تقدح في كمال الله، أو في ذُلّي له، ومنه: هل أقول كذا وكذا ... إلخ.

- وقوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة الانفطار:١٩]؛ أي لا يملك ابني أن يدفع عني العذاب، ولا أبي، ولا أمي، ولا حميمي فلان ولا فلان، لا يملكون شيئًا: لا جمعَ مالٍ لفدائي، ولا قوةً لنصرتي، ولا شفعاء لتخليصي، ولا يتحمّلون وزري، ولا ... إلخ.

ج- المفرد المضاف، كقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [سورة الأنعام:٩٠]، فهل أنا ممن يقتدي بيوسف في عفته لما حضرت أسباب الفاحشة؟ أو بأيوب في صبره لما عظم بلاؤه؟ أو بموسىٰ في شجاعته لما واجه الباطل؟ أو زكريا في يقينه لما عجزت الأسباب؟ أو... إلخ.

د- حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنىٰ المناسب له، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾ [سورة التكاثر:١]، وتتفكّر في أفراد هذا العموم، فهل ألهاني التكاثر في جمع الأموال عن تذكر مصيري وحشري؟ أم التكاثر في الجاه، أم التكاثر في الشهرة، أم التكاثر في الأصدقاء؟ أم ... إلخ.

القاعدة الثانية: التأمل في اللفظة من جهة دلالة الالتزام:

كما أن المفسر للقرآن يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقةً، وما دخل في ضمنها كما سبق، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني، وما تستدعيه من المعاني التي لم يعرّج في اللفظ علىٰ ذكره، وهذه القاعدة تستدعي قوة فكر، وحسن تدبر.

والطريق إلىٰ سلوك هذا الأصل النافع، كما نبّه عليه ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- أن تفهم ما دلّ عليه اللفظ من المعاني.
- فإذا فهمتها فهمًا جيدًا، ففكّرْ في الأمور التي تتوقف عليها، ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها.
- وكذلك فكّر فيما يترتب عليها، وما يتفرّع عنها، وينبني عليها، وداومْ علىٰ هذا التفكير؛ حتىٰ تصير لك ملكة جيدة.

أ- ومن أمثلتها: في أسماء الله الحسنىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [سورة الفاتحة:٣]؛ فإنها تدل بلفظها علىٰ وصفه بالرحمة، وسعة رحمته، وتدل بلازم ما تتوقف عليه علىٰ كمال حياته، وكمال قدرته، وسعة غناه، وإحاطة علمه؛ لتوقف الرحمة علىٰ ذلك كله، وتدلّ بلازم ما يترتب عليها علىٰ أنّ شرعه نور ورحمة، وأن ما يقدّره علىٰ عباده رحمة، وأن جزاءه يوم القيامة سيظهر فيه واسع رحمته سبحانه ... إلخ.

ب- وكذلك قوله عن أعداء رسول الله: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾ [سورة القصص:٥٧]، يدل علىٰ سوء ظنهم بالله، وأن الله لا ينصر دينه، ويدل علىٰ أن إيمانهم بالله ضعيف أو معدوم، وأن محبتهم للدنيا أعظم من محبتهم للدين، وسيترتب علىٰ ذلك خذلانهم للدين، وتقديم محبة وفداء الأوطان علىٰ محبة ونصرة الحق ... إلخ، وأمثلة هذا الأصل واضحة لكل صاحب فكرة حسنة.

القاعدة الثالثة: التدبر في دلالات هذه الألفاظ، وما دلت عليه من الأحكام مع ما ختمت به الآية من دلالات أسماء الله الحسنى:

فالأسماء الدالة علىٰ العظمة والجلال تملأ القلب تعظيمًا وإجلالًا لله تعالىٰ، والأسماء الدالة علىٰ الرحمة والإحسان تملأ القلب طمعًا في فضل الله ورجاءً لرَوْحِه ورحمته، والأسماء الدالة علىٰ المحبة والكمال تملأ القلب محبة وتألّهًا وإنابة لله تعالىٰ، والأسماء الدالة علىٰ سعة علمه ولطيف خبره توجب للعبد مراقبة الله تعالىٰ والحياء منه، فيتعرف العبد علىٰ ربه من خلال متعلقات أسمائه وصفاته بأحكامه، وبتدبيره لشؤون مخلوقاته.

- ومن أمثلتها: لما ذكر الله النسخ أخبر عن كماله قدرته، وتفرده بالملك، فقال: ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧﴾ [سورة البقرة:١٠٦-١٠٧]، وفي هذا رد علىٰ من أنكر النسخ كاليهود، وبيان أن نسخ الله ما شاء من الآيات من آثار قدرته وتمام ملكه، فإنه تعالىٰ يتصرف في عباده، ويحكم بينهم بأحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، فلا رادّ لقضائه، ولا مانع لأحكامه.

- وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝٣٤﴾ [سورة لقمان:٣٤]،

فعلمُ الله تعالىٰ تعلّقَ بكل علمٍ غاب عن خلقه؛ من مفتاح علم الحياة الدنيوية، والحياة البرزخية، والحياة الآخروية، وحياة الإنسان، وحياة النبات الحيوان، وهذا كفيلٌ بتوفيق الله أن يزيدك علمًا بالله، وخشية له.

قال ابن سعدي: «وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب عند تأمل ذلك هي أكمل الأحوال، وأجلّ وصفٍ يتصف به القلب وينصبغ به، ولا يزال العبد يمرن نفسه عليها حتىٰ تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية».

القاعدة الرابعة: الاجتهاد في عَقْلِ مقاصد ضرب الأمثلة في القرآن الكريم:

وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحّد، والشرك وحال أهله، والإخلاص والرياء، والمقبول من الأعمال والمردود، والأعمال العامة الجليلة، ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة؛ ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين.

- فقد ضرب الله مثلًا للوحي والعلم الذي أنزله علىٰ رسوله ﷺ في عدة آيات بالغيث والمطر النازل من السماء، وقلوب الناس بالأراضي والأودية، وبالتفكر في وجه مناسبة المثل لما ضُرب له: نجد أنّ عمل الوحي والعلم في القلوب كعمل الغيث والمطر في الأرض؛ لأنه لا غنىٰ لنا عن الوحي كما أنه لا غنىٰ لنا عن المطر، ولأن قلوب العباد تختلف في انتفاعها بالوحي كما تختلف الأرض في انتفاعها بالغيث، ولأن القلب يسعد بالوحي كما يسعد الخلق بالمطر، وهكذا.

- وضرب مثلًا لعمل المشرك بالسراب، وبالتفكر في وجه مناسبة المثل لما ضُرب له: نجد أنّ السراب لا حقيقة له، وكذلك عمل المشرك لا دليل عليه ولا برهان به، ولأنه يخذله ولا ينتفع به، ولأنه يحثّه علىٰ السعي، ولا يبلغه ما يرجوه، وهكذا.

القاعدة الخامسة: التأثر بمعاني القرآن الكريم: اعتقادًا وعملًا:

كان الصحابة رضي الله عنهم إذا قرؤوا عشر آيات أو أقل أو أكثر، لم يتجاوزوها حتىٰ يعرفوا معانيها كما سبق، ثم يحققوا ما دلّتْ عليه من الإيمان والعمل، فلينظر القارئ في موضوع الآية:

أ- فإن كانتْ من آيات الأخبار، فليؤمن:

- بما احتوت عليه من العقائد والأخبار.

- وليطبقها علىٰ جميع ما يشهده من الحوادث والوقائع الواقعة عليه أو علىٰ غيره.

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: « والذي نفسي بيده إن حق تلاوته: أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرّف الكلم عن مواضعه، ولا يتأوّل منه شيئًا علىٰ غير تأويله ».

ب- وإن كانتْ من آيات الأوامر والنواهي والأخلاق؛ فليحاسب نفسه:

- هل هو قائم بها، أو مخلّ بحقوقها ومطلوبها؟
- وكيف الطريق إلىٰ الثبات علىٰ الأمور النافعة، وتدارك ما نقص منها، والتخلص من الأمور الضارة؟

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إنّ أحدهم ليقول: لقد قرأتُ القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرىٰ القرآن له في خلق ولا عمل »، وقال مطرف بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إني لأستلقي من الليل علىٰ فراشي، فأتدبر القرآن، وأعرض عملي علىٰ عمل أهل الجنة ».



الدرس الرابع: تطبيق تدريبي:

١- بالاستفادة من طرق التفسير الأربعة، وبالرجوع إلىٰ تفسير ابن عطية اجمع تفسيرًا لسورة الفاتحة.

٢- بيّنْ من أيّ نوعٍ خلاف المفسرين في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة فاطر:٣٢]، قيل: الظالم هو الذي لا يصلي، والمقتصد هو الذي يصلي الفرائض، والسابق هو الذي يصلي الفرائض والنوافل، وقيل: الظالم هو الذي لا يزكي، والمقتصد هو الذي يزكي، والسابق هو الذي يزكي ويتصدق.

٣- استعن بقواعد التفسير والترجيح في اختيار القول الأقوىٰ في معنىٰ (إلا أمانيّ) في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ [سورة البقرة:٧٨]، قيل: إلا ظنًّا، وقيل: إلا ما يتمنونه من أمنيات، وقيل: إلا تلاوة بلا فهم.

٤- تدبّرْ قول الله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [سورة الإسراء:١].

تمّ المتن بحمد الله

إجازة

في لباب أصول التفسير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،

أما بعد :

فقد أخذ عليَّ الأخ / .....

من بلد .....

في يوم ..... تاريخ ..... في مدينة ..... رسالة لباب أصول التفسير

وهي:

إحدى رسائل سلسلة لباب العلوم، وقد قصدت بها جمع خلاصة هذا العلم ،

وقد استجازني فأجزته، وأوصيه بتقوى الله في السر والعلن، وألا ينساني ووالديَّ

وذريتي ومشايخي من دعوة صالحة ، وأحثُّه على شرحه لمن يطلب ذلك منه ،

وأن يربيهم على العمل به .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

صحيح ذلك عني

طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

ختم الإجازة

فهرس الكتاب

مقدمة ٣

الدرس الأول طرق التفسير وقواعده ٤

الدرس الثاني أنواع الاختلاف بين المفسرين، وقواعد الترجيح ٩

الدرس الثالث قواعد في تدبر القرآن ١٦

الدرس الرابع تطبيق تدريبي ٢١

فهرس الكتاب ٢٣